

نظام الاختيار للزواج: محدداته، مراحلها، تغيراته

حاج زيان وهيبه

أ. مساعدة قسم علم الاجتماع

جامعة البليدة

ملخص:

يعتبر نظام الزواج من أهم الأنظمة الاجتماعية التي ارتبطت مع تكوين الأسرة على مر العصور.

ومما لا شك فيه، أن الزواج لا يتم صدفة بين الرجل والمرأة، بل لابد أن يحدث إختيار متبادل بطريق أو بآخر بينهما، ليحدث بعد ذلك الزواج وتكوين أسرة جديدة، إذن؛ فالإختيار هو الخطوة الأولى والممهدة للزواج، وعليها تتوقف نتائجه، فكثيراً ما تكون هذه الخطوة بداية لتوافق إيجابي بين الزوجين أو على العكس من ذلك تماماً.

Résumé :

L'union matrimoniale (mariage) dans le but de fonder une famille, est considérée comme l'une des plus importantes organisations sociales.

Le choix du conjoint dans cette union représente l'étape préliminaire et déterminante, induisant la réussite ou l'échec de ce mariage



wondershare™

106
PDF Editor

الاسرة هي محور الحياة التي تدور حولها كل مظاهر الحياة الاجتماعية، تؤثر فيها وتتأثر بها، منذ ان خلق الانسان على هذه الارض، لذلك فقد حظيت باهتمام الدارسين واحتلت حيزا كبيرا من الدراسات الانثربولوجية والديمغرافية والسوسيولوجية، ذلك انها تعد من اهم المؤسسات الاجتماعية نظرا للصلة الوثيقة بينها وبين الفرد والمجتمع، لهذا فهي تقوم بتعديل شكلها حتى تتلاءم مع ظروف الحياة المتغيرة التي تسود في زمان ومكان بعينه.

ولعل من ابرز النظم الاجتماعية، التي عرفت تغيرات كثيرة في الاسرة الجزائرية هو نظام الزواج فقد عرف هذا الاخير تغيرات هامة مستهدفه واساليب الاختيار له، فقد شهد الزواج انتقالا من كونه عملية تتم بين عائلتين، هدفها توطيد العلاقات القرابية وتكثيف شبكة العلاقات الاجتماعية والعائلية، الى كونه قرارا شخسيا يخص طرفي الزواج بالدرجة الاولى، وذلك نتيجة لتعدد الحياة و تشابك علاقات الافراد فيها، وظهور التصنيع والتعليم وممارسة المرأة للمهنة، وتغير طرق التنشئة الاجتماعية.....

هذه التغيرات الاجتماعية الحاصلة في المجتمع الجزائري، عملت على تغيير عقليات الشباب، فاصبح الزواج بالنسبة لهم بالاضافة الى كونه واجب ونصف دين، فهو يمثل ايضا وسيلة للاستقرار الشخصي وتحقيق الامن العاطفي .

لقد اصبحت احتياجات الفرد، اليوم موضوعا قائما بذاته وله اهميته القصوى عنده، مما يجعله يسعى الى تحقيقها اولا بغض النظر عن احتياجات الاسرة ككل، حيث يتجه الفرد الى الزواج الذي يتفق مع

احتياجاته النفسية الخاصة ,لهذا اصبح هناك تأكيد على العوامل العاطفية
اكثر من العوامل العملية و التي ترجع الى الاحتياجات الواسعة للأسرة.
أولا/ مدخل الى الاختيار للزواج :

1 / الاختيار كعملية اتخاذ قرار:

ان اختيار شريك الزواج يعد المرحلة الاولى لتكوين الاسرة, وهي أهم
خطوة في حياة الانسان, لان الانسان اذا تزوج يكون في نيته الا يحدث ما
يغير هذا الزواج ,اي أنه يتزوج للحياة كلها, ومعنى الاختيار أن
المعروض كثير وأن على الانسان أن ينتقي ويختار, وأي العوامل يغلبها
على الاخرى عند الاختيار .

بعبارة اخرى, نستطيع ان نقول أن الاختيار للزواج هو عملية اتخاذ

قرار¹

2/ مفهوم اتخاذ قرار:

يمكن ان نقول ان القرارات, انما تتخذ في مواقف محددة, حيث يكون
امام متخذ القرار, مجموعة من البدائل عليه ان يختار من بينها, على ضوء
اعتبارات تتصل بقيمة كل بديل, و اساس عملية التقييم هو قياس شيء ما او
حل ما على شيء اخر او حل اخر متخذ معيار²

ويأتي اتخاذ القرار بعد مرحلتى الانتقاء والتقييم, والتي تكون عادة
ضمن أطر المجتمع الذي لا يسمح بحرية الاختيار, خاصة في اتخاذ
القرارات الكبرى لا سيما منها القرارات الاسرية والزواجية المتعلقة بحياة
الفرد.

ان ما يتوقع المجتمع من الفرد تم تحديده مسبقا وبوضوح, وبفضل ما
أضفاه المجتمع على الفرد من مكانة اجتماعية ووظيفية محددة, فهو ينتظر

منه مقابل ذلك، أن يلتزم بوظيفة ويلزم مكانة وأن يسلك السلوك المقرر له ضمنا.

ولعل أهم من يساعد الفرد في اتخاذ القرارات الاسرية واختيار أسلوب معين دون غيره، هي الاسرة، حيث يقول الاستاذ بوسبسي: "إن الفرد يعيش تحت حماية الجماعة، وهذه الاخيرة ترفض كل ما هو غريب عنها، وكل ما يتماشى مع النسق الرمزي المعمول به".³

بالاضافة الى أن ثقافة الجماعة تؤثر في كل جانب من جوانب نمو الفرد وتطوره، واكتساب اساليب الحياة، وتحديد الاهداف والتطلعات وعوامل الخطر التي يتعرض لها الفرد و اساليب استجابته لهذه الاخطار ، وتوافقه معها.

عموما، وبعبارة موجزة، نستطيع القول بان موقف الاختيار في الزواج يتضمن فردا ينتقي من بين عدد من المعروض وان اساس الانتقاء او الاختيار يتاثر الى حد كبير بالثقافة.

3/ العمليات السابقة للاختيار للزواج:

تتشكل صورة الشريك {شينا فشيئا لدى الجنسين قبل ان ترتبط حياة كل منهما بشريك مرغوب فيه، اذ تكون هذه الصورة في البداية ذهنية، ومع عملية الاختيار للزواج، اما ان يجد ضالته التي رسمها في ذهنيته، وكان له تصور خاص حول نوعية المقاييس او الصفات التي جمعها او يجد كل منهما بعض المقاييس وليس كلها.

هناك من يعرف العمليات السابقة للاختيار للزواج، انها عمليات مساومة لاختيار الافضل للاولاد، وان الشاب يسعى نحو من يحب الزواج منها، حيث يتمكن اي رجل من الزواج من اي امرأة، لانه يكون في النهاية

عدد الصالحين والمناسبين للزواج محدودا جدا ⁴. خاصة و أن الاختيار للزواج متأثر بعوامل داخلية وخارجية او تسمى في بعض الاحيان موضوعية وشخصية، فهو من جهة متأثر ببعض العوامل الداخلية مثل الحاجة التي يحس بها الشخص في العثور على رفيق و شريك مثالي، والصورة التي يكونها لنفسه عن شريكة حياته على نحو ما ينبغي ان تكون، ومن ناحية ثانية، محدد ببعض الظروف الخارجية مثل: محل الإقامة، والعنصر الذي ينتسب اليه الشخص والطبقة الاجتماعية التي ينتمي اليها ⁵.

فاذا تعمقنا في اختيار الزوجين، و تخطينا تلك الظاهر من غنى وفقر وجمال وقبح وأدب وفن الخ من العوامل المتكافئة بين الزوجين، فهناك عوامل نفسية كامنة لا يستطيع المرء ان يتجاهلها فهي اما ان تجر المتزوج الى السعادة او الى الشقاء ⁶

4/مراحل الاختيار للزواج:

1/مرحلة ما قبل الاختيار: بعد اتخاذ قرار الزواج ، يبدأ البحث عن الشريك المناسب، وهنا

يطرح السؤال :من يتزوج من ؟ وما هي الاسس والعوامل التي تقوم عليها عملية الاختيار؟ علما ان اختيار الرجل والمرأة لقرينه سلوك اجتماعي لا يتحدد فقط برغبات الشخص، ولا عن طريق الصدفة، وانما وفق معايير مجتمعه، ولكل مجتمع نظمه واساليبه الخاصة التي تتحكم في عملية الاختيار للشريك طبقا للقيم والعادات والتقاليد والانماط التي تسود

ذلك المجتمع ⁷.



wondershare

PDF Editor

ويتميز البحث عن الفتاة في المجتمعات التقليدية، باشتراط تزوج الفرد من ابنة عمه او من قرابته بصفة عامة، اذ ان تزويج الابن لم يكن يعني استقراره، لكن كان هدفه تنمية الموارد المادية والاجتماعية لعائلة الاب باعادة انتاج ارثها فيما يخص العلاقات والتقاليد والديناميكية الخاصة بها⁸. أما اذا كان الاختيار من خارج القرابة، فانه كان يتميز باستغراق وقت طويل، حيث تتجند نساء الاسرة والام على الخصوص، بيد أن الزيارات ودق الابواب بهدف 'الفرجة' على الفتيات اللواتي هن في سن الزواج، فيقارن و يفاضلن بينهن اثناء عرض نتائج زياتهن امام والد الفتى اين يقوم هذا الاخير بالاختيار وابلاغ الابن بمن سيتزوج، وقد جرت العادة ان يوافق الشاب دون تردد على ما يعرض عليه وبهذا تخطب المجهولة الى المجهول⁹.

لكن وبعد التغيرات الكثيرة التي عرفها نظام الاختيار للزواج، اصبح شباب اليوم يتطلعون لاختيار شركائهم بانفسهم، وهو ما يسمى بالاختيار الشخصي .

لكن ومع انتشار هذا الاسلوب من الاختيار، اصبح كثير من الشباب المقبلين على الزواج يعيشون في صراع بين معتقداتهم و قيمهم الموروثة من المجتمع التقليدي وبين القيم والمعايير التي اصبح يتميز بها المجتمع الحالي¹⁰ .

وحسب احدى الدراسات الجزائرية¹¹ فان الشباب المقبلين على الزواج يجدون انفسهم، في مجابهة نفسية اجتماعية، فغالبا ما يتركون الرأي والمشورة في موضوع الزواج للاباء، فهم بذلك: 'كالمسافر الذي يشعر بالشك وعدم الاستقرار، عندما بدأ في المغامرة وحده، وفي طريق مجهولة

وغير واضحة، يفضل الرجوع على أعقابه من أجل التأكد من سلامة وجهته بواسطة الاستعانة بالمتعودين على السفر من أجل الانضمام الى قائد ما. اما الموقف الثاني المتخذ من طرف هؤلاء المقبلين على الزواج، فيتمثل في استعمالهم لكل الوسائل الممكنة لاقتناع الاباء بصلاحية اختيارهم الفردي للزواج، عند الفشل في ذلك، يتمسك هؤلاء بموقفهم مهما كان الثمن، لذا غالبا ما يلجا الاباء الى عدم تحمل مسؤولية ما يترتب عن ذلك الزواج من خير او شر ¹².

ب/المبادرة بالاختيار: جعلت التقاليد وربما الطبيعة ايضا، الرجل هو البادئ صراحة في عملية التودد الى المرأة، والتي تنتهي بالزواج، لكن ذلك لا ينفي او يلغي دور المرأة في تطوير العلاقة، فهي ليست سلبية على طول الخط كما قد يظن ¹³ اما دور الرجل في الاختيار للزواج كفعل له معنى ومغزى وقصدية، فهو مباشر وظاهر، فهو يختار فتاة معينة من بين عدة فتيات لاثقات للزواج وهو الذي يتقدم الى اهلها او اليها طالبا الزواج منها، وهذا لا يعني ان المرأة سلبية، لكنه يعني ان دورها غير مباشر وكامن ويتضمن التلميح والتأنق في الملابس وفي الحركات والافعال ..

ويمكننا القول بعبارة اخرى، ان الاختيار في الزواج كفعل ايجابي تظهر فيه النية و القصدية مقصور على الرجال، اما الاختيار للزواج كفعل سلبي يظهر فيه التفضيل في الموافقة او الرفض، فهو نوع الاختيار الوحيد الذي يمكن ان تمارسه المرأة عند الزواج، و بهذا لا نكون قد غينا دور المرأة في الاختيار للزواج، بل بينا فقط ان ليس لها اليد الطولى في مثل هذا الاختيار. والمبادرة او اتخاذ الخطوة الاولى في الزواج من جانب المرأة تجعل الرجل كما يرى 'بومان' يميل الى تجنبها، فالرجل دائما يحب ان

يشعر بأنه هو البادئ وأنه هو الذي يختار، أما بعد الزواج فإن البدء أو اتخاذ الخطوة الأولى من جانب المرأة في المسائل العاطفية يعد مقبولا¹⁴ من هذا يتبين لنا، أن المرأة بصفة عامة ، لا تحب أن تبادئ بعملية الاختيار في الزواج، ولعل ذلك يرجع إلى أن تلك المبادرة لا تجعلها تشعر بأنها محبوبة ومرغوبة، وهذا ما تحرص المرأة بطبيعتها عليه وما يكفله لها العرف والتقاليد.

وفي المجتمع الجزائري، المبادرة تأتي دائما من طرف الرجل ، فهو الذي يتقدم لخطبة الفتاة التي يريد الزواج بها من والدها الذي يحسم الموقف بدوره¹⁵ — وسنفصل أكثر في أسلوب الاختيار للزواج في المجتمع الجزائري فيما سيأتي —

ج/التواعد و التواعد في الاختيار للزواج:

يتبع هذا الأسلوب خاصة في المجتمعات الغربية، بحكم طبيعة الحياة الحديثة القائمة على الاختلاط بحيث يسعى الشباب بأنفسهم بطلب الزواج ممن تروقهم ويحبون الميل إليها، وهو أسلوب يعترف به المجتمع الغربي كنموذج له. عدة وظائف ونتائج هامة¹⁶.

وإذا كانت المجتمعات العربية والشرقية، التي كان يسودها في الماضي الزواج المرتب عن طريق الأهل، فإننا نجد مع التغير الاجتماعي والاقتصادي وتعلم المرأة وخروجها للعمل، مجالا للاخذ بالنظام والأسلوب الغربي، حيث يحدث التواعد والتواعد ويحدث ما يسمى بالحب بين الفتى والفتاة، ويتفقان على الزواج ويسيران فيه على أساس من الواقع و يباركه الأبوان، أو أن يحاولا تغطية هذا التطور الحديث والاتجاه الجديد المقلد

للغرب، والعودة به الى النظام القديم، فيتجه الشاب أو أسرته الى أسرة الفتاة وأهلها بطلب الزواج وكأن اتفاقا سابقا لم يحدث بينهما¹⁷.

انه لا بد من أن يوضع في الاعتبار أساسا أن الاختيار للزواج عن طريق التواعد والتواعد لا بد أن يكون قائما أصلا على الموصفات التي يضعها الشاب أو الشابة، أساسا يقوم عليها الاختيار، ويحاول كل منهما أن يجد الصفات التي يسعى للوصول لصاحبها أو أكبر قدر منها لتحديد الاختيار الذي يتجه اليه ويتقبله، ومع الاتصال الشخصي نجد أنه يحدث بعض التنازلات عن بعض هذه الموصفات لأن هناك بعض العوامل والمزايا التي تعوض ما يجري التنازل عنه من الصفات والموصفات بشرط ألا تكون جوهرية¹⁸.

د/الخطبة المبدئية:

غالبا ما تكون آخر مرحلة من مراحل الاختيار قبل الزواج، وتعرف بأنها المرحلة التحضيرية لتوثيق العلاقات بين أسرتي الزوج والزوجة ووضع أسس الحياة الزوجية، والاتفاق على المبادئ والاتجاهات العامة التي تسود هذه الحياة، فهي مرحلة مرنة وخطرة، لأن كثيرا من العوام لا يفهمون وظيفتها ولا يقدرون مبلغ خطرهما في وضع الخطوط الرئيسية لحياة المستقبل¹⁹.

وما يميز هذه المرحلة، هو أن كلا الطرفين، يظهر أحسن ما عنده، ويرى كل منهما كل شيء بمنظار وردي، فهناك ميل كبير في هذه الفترة الى الخيال والمثالية، لذلك نجد أن كثيرا من الوعود لا توفى، كما أن كثيرا من الامال والتوقعات لا تتحقق²⁰.



wondershare

وبذلك يبد الزواج بمثابة نكسة لكل الوعود والامال والسبب في ذلك لا يكمن في أن الزواج أقل أهمية أو اثاره من الخطبة المبدئية, بل انه يرجع الى أن الزواج يصطبغ دائما بصبغة الواقعية, أما الخطبة فقليل ما يطبعها الواقع, و انما هي دائما مطبوعة بطابع الخيال .

ويتحدث الكثيرون عن تغير الناس, غالبا الى الاسوء — بعد الزواج — لكن الحقيقة أن التحول العظيم يحدث أثناء الخطبة, حيث يميل الناس الى ارتداء أقنعة تخفي حقيقتهم, ويرى كل منهما الاخر من وجهة نظر متحيزة, أما بعد الزواج, فان كلا منهما يعود الى طبيعته, كما يرى كل منهما الاخر على حقيقته, وليس كما ظن أنه سيكون²¹.

من المناسب أن نعرض هنا, الدراسة التي أجراها كل من برجس ووالين²² عن الخطبة والزواج على 1000 خطيب وخطيبة, والتي توصلوا منها الى النتائج التالية :

× الخطبة ليست ضمانا نهائيا لإتمام الزواج , فقد تبين من الدراسة أن نسبة الخطبات الفاشلة عالية نسبيا.

× هناك تعارض واختلاف في الرأي بدرجة عالية, بين معظم المخطوبين (17 فقط يتفقون في جميع المجالات) في المسائل المتعلقة باظهار العواطف وترتيبات الزواج والامور الدينية وعادات المائدة ونوعيات الترفيه وفلسفة الحياة وكسب المال وانفاقه وطرق الاتصال بالاقارب والاصدقاء....الخ

× هذا و ينظر الى قيام التعارض بين الخطيبين في فترة الخطبة على أنه مؤشر على مدى الخلافات التي يمكن أن تحدث بينهما بعد اتمام الزواج.

الا أنه على الرغم من ارتفاع نسبة الخلافات بين المخطوبين ، فإن الزواج يتم مما يؤيد فكرة أن 'الحب أعمى'

يمكن استخلاص المؤشر الوحيد لاحتمالات الزواج الناجح مما يحدث خلال فترة الخطبة، ولهذا يرى كل من برجس ووالين أن الخطبة الناجحة تنبئ بالنجاح في الزواج مستقبلا.

5/أهمية الحب في الاختيار للزواج:

أ/الحب السابق للزواج — معناه وأهميته —: كثيرًا ما أصبح الكلام يزداد في مجتمعنا العربي المعاصر، حول ضرورة توافر أو قيام الزواج على الحب بدلا من أن يقوم الزواج العربي، كما كان يقوم في الماضي على غير معرفة أو صلة سابقة، عندما كان يرتب الزواج بين أسرتي الفتى والفتاة دون أن يكون لكليهما أو لأيهما إرادة في هذا الاختيار، لكن هذا الاتجاه حسب قيم المجتمع وتقاليد، قد لا يكون مقبولا أو معترفا به كأساس يقوم عليه الزواج، وتبنى عليه حياة الأسرة لأن قيام علاقة سابقة للحياة الزوجية أمر لا تقره تقاليد المجتمع المحافظ الذي يقيم قيمة أساسية اجتماعية حول الاختلاط بين الفتى والفتاة قبل الزواج²³.

ويرى وليم جود أن الحب عامل مهم جدا في تكوين الزوجات، بحيث أصبح في الولايات المتحدة الأمريكية عدم قيام الزواج على الحب، لا بد أن يكون له ما يبرره، كأن يكون الرجل متقدما في السن ، أو أن يكون الزوج ثريا والزوجة فقيرة الخ

ب/الفكرة التقليدية للحب:

تدور الفكرة التقليدية عن الحب والزواج، حول أسطورة وجود رجل واحد معين من نصيب امرأة واحدة، وعندما يجود القدر بالتقائهما يقعان

في حب عميق، وأن الشخص لا يقع في الحب إلا مرة واحدة مع الشخص الموعود، وعندما يقع الشخص في الحب ويشعر به يسيطر على حياته ويشغل تفكيره، وينبغي على المحب أن كان مخلصا في حبه حقا أن يسعى وراء الزواج بمن يحب مهما كان لهذا السعي من صعاب، وعندما يتزوج الشخص بمن يحبه، ينتهي شقاؤه، ويعيش حياة سعيدة طوال حياته²⁴. وقد وجدت في هذا المجال نظرية هي:

ج/النظرية الرومانتيكية: رغم أن هذه النظرية لا تخضع للطابع العلمي الدقيق، إلا أن الشعراء والروائيين والعامّة على السواء، قد بالغوا في وصفها وذلك عبر تاريخ البشرية وفي كل مكان، وتتلخص هذه النظرية في أنه من بين الملايين الذين يعيشون في هذا العالم، هناك اثنين فقط قد قدر لكل منهما أن يكون من نصيب الآخر، وأن يعيشا في سعادة وهناء طوال العمر²⁵.

وليس المراد بالحب -حسب هذه النظرية- حب الشهوة العارمة والرغبة الجنسية العابرة واللذة القوية، فإنه حب كاذب سرعان ما يزول تاركا بعده أسوأ النتائج.

إن الحب الذي تصوره، ما هو إلا نسيج الأحلام، إنه ينشأ عن الأمانى والتصورات، إنه يجعل الإنسان يرى فيمن يحب صورة الرجل المثالي أو المرأة المثالية التي لا يمكن أن يحياها إنسان في عالم الواقع.

إن الواقع ينفي هذه الأفكار الأسطورية، فكثير من الأشخاص يمكن أن يقيم معهم حياة ودية سعيدة، وننشئ معهم زواجا موقفا، يوفر كثير من الاشباع، لذلك فالعلماء السوسيولوجيون الواقعيون لا يتقنون كثيرا في هذه الاسطورة الجميلة، كتفسير لعملية الاختيار للزواج، و تفسيرهم لذلك، أن

الانسان عندما يفكر في الزواج , عليه أن يميز بين ما هو خيالي في الحب وما هو حقيقي, لأن 'الحب الحقيقي بين الزوجين ينمو على مر الايام وتدعمه العشرة والصحبة, وليس معنى أنه لا يصح الزواج بين غير المتحابين, فإن الحب -غالبا- يتولد بعد الزواج نتيجة تبادل المودة وحسن التفاهم والمعاملة الطيبة وإنكار الذات²⁶.

د/نمو علاقة الحب :في محاولة قام بها أحد علماء الاجتماع , لوصف العمليات الداخلية الشخصية المتضمنة في نمو علاقة الحب , وجد أنه كمرحلة أولى أي في بداية العلاقة بين شخصين فإنهما يدركان للوهلة الاولى حضور أو غياب الشعور بالآلفة , فإذا كانا يشتركان في خلفية اجتماعية وثقافية واحدة فمن المحتمل أن يشعرنا بالتقارب والاطمئنان, وتتسأ لديهما رغبة قوية في التحدث عن نفسيهما و أن يعرفا أكثر كل عن الاخر, فإذا اختلفت الخلفية الثقافية بطريقة ما فيمكنهما مع ذلك أن يشعرنا بالانسجام, أما إذا لم يشعرنا بالآلفة كخطوة أولى, فإن نمو العلاقة يتوقف.

وما تلبث المرحلة الثانية المصاحبة للآلفة, وهي التي تسمى مرحلة البوح الذاتي أن تبدأ, وهي عندما يشعر الفرد بالاطمئنان الى علاقة إجتماعية فإنه يبدأ في المصارحة بما تكنه نفسه فيتكلم عن أمانيه ورغباته ومخاوفه وطموحاته وهنا تعمل الخلفية الثقافية المشتركة على سرعة التقبل والتفاهم, وعند ذلك تكون الظروف قد تهيأت للمرحلة الثالثة أن تظهر وهي نمو التبعية المتبادلة.

وفي هذه الحالة يصبح كل منهما معتمدا على الاخر في إنجاز احتياجاته ورغباته الشخصية, وهذا يرجع الى أن كلا منهما يحس بعمق أنه في

حاجة للآخر، لأن يشاركه أفراحه وأحزانه ومشاعره ، وأن يقاسمه المرح والمزاح ، باختصار أن يعيش معه الحياة .

وأخيرا تأتي المرحلة الرابعة وهي تحقيق الحاجة الشخصية، وتختلف الحاجات الشخصية باختلاف الخلفية الثقافية، كما هو الشأن في التآلف والبلوح الذاتي والتبعية المتبادلة.

6/الاختيار على أساس الحب في المجتمعات العربية:

تصور معظم الكتابات الواسعة الانتشار عن الحب في المجتمعات أنه غير مهم، و يرجع ذلك الى اختلافات جوهرية عند كل واحد منهم، وهناك من الدارسين من يقول أن التمسك بقواعد الدين والتقاليد والعرف وسيطرة الوالدين وتحفظ نظرة المجتمع، تضع جميعا عوائق عديدة أمام العواطف ،لأن تبادل العواطف ذاته بين الشاب والشابة أمر معاب إجتماعيا وأخلاقيا لأن المجتمع يطالب أفراداه بالتعبير عن حب القرين بعد زواجه(ها) وليس قبل ذلك، وهذا يعني أن الزواج المبني على الحب يمثل سلوكا منحرفا عن قواعد الحياة الاجتماعية في المجتمعات التقليدية، أي الزواج أولا و الحب ثانيا أي الحب بعد الزواج وليس قبله²⁷.

رغم هذا، فإن الناس في مجتمعاتنا العربية- عموما- يتحدثون عن الحب ويفكرون فيه و يأملون في الحصول عليه ويتابعونه نظريا في الاغنية والقصة والرواية وفي تجارب الآخرين ، ولكنهم يهتمونه في نفس الوقت، بل يشيرون الى المحبين بشيء من السخرية والادانة وربما يرجع ذلك في جانب منه الى أن طريقه محفوف دائما بالعوائق والصعوبات لأن المناخ العام في المجتمع لا يزال غير معترف بإيجابية العواطف الانسانية، ولهذا تتذبذب النصائح التي تقدم لمن يقبلون على الزواج بين الاتجاهات

المتحررة و الاتجاهات المحافظة في نظرتها لمشروعية أو أهمية الحب كأساس الزواج الناجح²⁸.

مهما يكن من أمر، فالحقيقة هي أن الحب موجود بكل المجتمعات وإن اختلفت صورته من مجتمع لآخر، ومعظم الناس اليوم يرون أن الحب أصبح عامل مهم جدا كشرط ضروري لإتمام الزواج، لذلك فهم يعتبرونه أهم أساس يجب مراعاته في عملية الاختيار الزواجي.

رغم هذه الأهمية، إلا أن الحب ليس كل شيء، فهناك عوامل كثيرة لكل منها شأن وأثر لنجاح الحياة الزوجية، والاندفاع للزواج على غير أساس سوى الحب مخاطرة إجتماعية و شخصية.

7/ الاختيار للزواج في المجتمع الجزائري:

أولا: في الماضي:

المعروف أن شكل الزواج المتعارف عليه في الماضي هو الزواج المرتب القائم على الاختيار الذي يفرضه المحيط العائلي و المحيط الاجتماعي، فهذا الاختيار كسلوك اجتماعي كان يهدف الى تحقيق القيمة الاجتماعية للزواج، كاستراتيجية عائلية تتماشى مع شبكة العلاقات العائلية، هدفها التماسك الاجتماعي وتقوية مكانة العائلة داخل المجتمع الذي كان يتميز بالبساطة وبقلة الحراك الاجتماعي وقد كانت شبكة العلاقات في الاسرة الممتدة التقليدية تقوم على مقاييس صارمة أهمها:

- 1- الحاجز الموضوع بين الجنسين وحماية المرأة التي تمثل شرف العائلة حتى تكون الزوجة المثالية التي تحقق الهدف من الزواج، فغالبا ما يستعمل مصطلح 'بنت الفاميليا' كتعبير على الاختيار على أساس الدين والاخلاق، ويشمل هذا المصطلح كل من اتقان الأشغال المنزلية، الرزانة، الصبر.

فتعمل الأم على البحث عن الصورة الاجتماعية للزوجة المثالية الشابة (الصغيرة في السن) المتواضعة، المتخلقة والوظيفية (ربة البيت).²⁹ وغالبا ما يكون اهتمامها منصب على بنات العائلة و يظهر ذلك جليا في المناسبات العائلية كالأفراح، وفي حالة اختيارها لفتاة من خارج العائلة، فإنها تتجه دائما الى طبقة اجتماعية مماثلة أو أقل من طبقتها³⁰.

ولكن الملاحظ هو أنه حتى ولو كان اختيار الزوجة من طرف الاهل بالنسبة للشاب فهذا الأخير له الفرصة الكافية في الموافقة عليها وفي وضع المواصفات التي يرغب فيها ، إذ أن التحضير للزواج يتطلب عملية استكشافية تتمثل أول مراحلها في اجتماعات داخلية ، تتمثل في موافقة الأب والمواصفات التي يرغب فيها الابن الراغب في الزواج³¹.

أما بالنسبة للفتاة فببلوغها سن الرشد، لا يحق لها الرفض أو التعقيب عن الخطيب الذي يراه الأب أو العائلة مناسبا لها، وهذا ناتج من جهة عن التفرقة بين الجنسين (كما سبق الإشارة اليه) ومن جهة أخرى يرجع ذلك للسلطة المطلقة للأب، الشيء الذي يفسر منع المجتمع ببنائه المعياري المبني على العرف والتقاليد والدين ، التلاقي بين الجنسين بحيث كان هناك حاجز صارم ملاحظ بين الجنسين ، فلا يجب أن يجتمعا معا ويتبادلا أطراف الحديث³².

2 — زد على ذلك فمن مميزات الاختيار للزواج في الأسرة الممتدة ، تفضيل الزواج ببنت العم، تحقيقا لرغبة الوالدين لأن تزويج الأبناء كان عملية يشارك فيها الوالدين والأقارب، فما زال العم يرجع الى ابن أخيه قبل أن يوافق على خطبتها لشخص غريب، وغالبا ما يحصل هذا في

المناطق الريفية أو في العائلات الكبيرة ذات المصالح المشتركة أي لاعتبارات اقتصادية حيث يمنع انتقال ثروة الأسرة الى خارجها. وعموما، فقد عرف نظام الزواج ببنت العم والزواج المرتب تقصلا ضئيلا في المجتمع الجزائري وتقليصا شديدا في المجتمعات الصناعية الغربية، أين لا تلعب فيها تقاليد القرابة سوى دورا ضئيلا في الضغط الجماعي، كما أدت كذلك السيطرة المتزايدة للطابع الفردي على الثقافة الانسانية الحديثة ظهور مشكلة التمييز بين نظامي الزواج والأسرة.

ثانيا : في الحاضر:

أما مع التغيرات الاجتماعية العميقة و المستمرة التي حدثت في المجتمع الجزائري، فقد أصبح لنظام الاختيار الزوجي عدة مميزات، نذكر منها :

— انتشار الاختيار الحر لشريك الزواج، بحيث لم يعد الزواج علاقة بين أسرتين وانما علاقة بين شخصين، وهذا لتغير الذهنيات بين جيل الاباء والأجداد وجيل الأبناء، بسبب التعليم والاحتكاك بين الجنسين والدخول في علاقات غير رسمية قبل الزواج.

— أصبح الزواج بالرضا هو القاعدة العامة في المجتمع الحديث ، وكان من النتائج الثانوية لهذا الوضع أن أصبحت عاطفة الحب شرطا أساسيا من شروط قيام علاقات زوجية، فأصبح للشباب حرية أكبر من تلك التي كانت في الماضي ، فهم يشعرون بحرية أكبر في التحدث عن العلاقات الزوجية.

— نتيجة لما سبق، ظهرت مقاييس جديدة في الاختيار الزوجي الذي يقاس عليه مدى نجاح أو فشل هذا الاختيار، بحيث هناك من يرغب في الزواج ممن يكافؤه في المستوى التعليمي، وهناك من يرغب في أن تكون الزوجة غنية، جميلة وغيرها من الصفات التي يريدها.

— لقد تحول الزواج بدرجة كبيرة الى مسألة اختيار أكثر من أن يكون مسألة ضرورة، كاختيار السن مثلاً فقد يفضل المقبل على الزواج التبكير أو التأخير حسب الظروف المادية، وليس استجابة للضروريات العائلية كالانجاب والصفات المرغوب فيها كالتجانس وليس لادماج فرد جديد في العائلة الموسعة .

— والملاحظ أن الشاب أصبح يفضل ويختار الارتباط بفتاة عاملة حتى تشاركه ماديا في تحمل الأعباء الأسرية.

— ومن أهم مميزات الاختيار الزوجي في المجتمع الجزائري الحالي ، فإنه يتم في اطار الصراع بين الاباء والابناء، حيث يظن الاباء أن باختيار رشيد منهم للشريك من عائلة المصاهرة أو القرابة، سوف يحتفظون بمهمات كبيرة مع أبنائهم ، بينما يرى الابناء أنه باختيارهم الفردي للشريك والمبني على العاطفة المتبادلة سوف يضمنون التوازن في حياتهم الزوجية المقبلة، ولما كان هدفهما معا، إيجاد وسيلة رضا مشتركة، حول اختيار هذا الشريك وسكن الزوجين بعد الزواج ، وبالتالي تفادي أي نزاع أو صراع قد ينشأ بينهما بهذه المناسبة (مناسبة الزواج) وان عدم التمكن منها يؤدي الى مد قرار الزواج الى عدة أعوام عديدة.

وفي كل الحالات، يجد المقبلون على الزواج في الوسط الحضري الجزائري أنفسهم في وضعية مجابهة لحالة نفسية اجتماعية صعبة وحساسة جدا³³ يحاولون التغلب عليها بنوعين من المواقف، أولها تراجع بعضهم عن اختيارهم الفردي، وهذا بعد العجز عن مجابهة هذه الوضعية طويلا، والفشل في اقناع الأهل باختيارهم، وبالتالي ترك الرأي والمشورة في هذا الموضوع لهم، وثانيها استعمال بعضهم لكل الوسائل الممكنة من

أجل محاولة ارضاء واقناع الاباء بصلاحيه هذا الاختيار, لكن عند فشلهم في ذلك, يقرر كل من الابن و البنت و بصفة نهائية التمسك بهذا الاختيار وعدم التراجع عنه مهما كان الثمن, فلا يبقى أمام الاباء الاقرار بأن كل ما سوف يترتب عن هذا الزواج من خير وشر, يهم الشابين فقط وعليهما تحمل مسؤولية اختيارهما بمفردهما.

عموما, فان الاختيار للزواج في المجتمع الجزائري يتم بصفة عامة بالشكل التقليدي العصري أو المرتب الحر للزواج , بحيث يمكن للشباب أو الشابة اختيار شريك حياتهما بمفردهما, مع موافقة الأهل على هذا الاختيار فيما بعد , أو أن يختار الأهل هذا الشريك على أن يوافق عليه الشاب أو الشابة في النهاية.

المصادر والمراجع:

- 1/ سامية حسن الساعاتي, الاختيار للزواج و التغير الاجتماعي, بيروت, دار النهضة العربية , 1981, ص 22
- 2/ منظمة اليونسكو , مجلة صحة الامة , مركز مطبوعات اليونسكو , العدد: 32, 1978, ص 106
- 3/ M, Boucebc, *Psychiatrie Social, et developement* , Alger , 1978 , p 24
- 4/ السيد رمضان , مدخل الى رعاية الاسرة و الطفولة , الاسكندرية , محطة الرمل , دون تاريخ, ص 47.
- 5/ مصطفى غالب , الحياة الزوجية وعلم النفس , بيروت, مكتبة الهلال , 1985 , ص 23
- 6/ عمر رضا كحالة , الزواج: سلسلة البحوث الاجتماعية , بيروت , مؤسسة الرسالة , ط: 3 , 1984, ص 273
- 7/ عبد السلام الترماني, الزواج عند العرب في الجاهلية و الاسلام , الكويت , المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الادب , 1984 , ص 10